قوامُها الرشيقُ تحت ثوبها. تتلفّت.. يَنْفر شعرها.. يتمرجح بجنون حولها. يرتبك صاحبي حين تصافح عيناه وجهَها الأسمرَ الثائرَ، قبل أن يتقدّم بخطواته مصعوقاً من وجودها، مرعوباً من نارية نظراتها. أفاجئه بيدي التي تكوّنتْ تمتد طويلةً عاليةً تمزّقُ رقعةَ الكانڤاس، وتفجّرُ الإطارَ الخشبيَّ المزخرف، ليتناثر جمراً حول جسده المرتجف.

أَنْطلق كالحمامة في فضاء المرسم، ليتعانق صوتي وصوتها، ولتخرج صرختُها معبأةً بالرفض والوجع، تصيح بجرأةٍ في وجهه الأصفر الذابل:

ـ مَنْ هذه الدمية؟!

قصص من الكويت

علي المسعودي

الوهم ذاته... بإحساس آخر

أَحْرص على أن أكون آخر الخارجين من مبنى مؤسَّستي الصغيرة. أدور في المكاتب التي فَرَغتْ.. أطفئ الأنوارَ، والأجهزةَ، ووحداتِ التكييف.

وأخيراً، ما قبل الخروج الأخير، أدير قطعةً حديديَّةً صغيرةً في القبضة الداخليَّة للباب الخارجيّ، ثمّ أصفقه ورائي بشيء من العنف. بذلك يكون قد قُفِل.

أحياناً. أُضطر إلى الخروج قبلاً، فأوصيهم بالإقفال الأخير.

من حقي فعلُ ذلك. فقد تعبتُ كثيراً في تشييد عملي هذا، وكوّنتُه قطعةً قطعةً.. كلُّ قطعة كانت من عرقي وأرقي.

ومن حقي عندما أُقفل البابَ الخارجيَّ أن أنسى العمل وهمومه، وأخرج للسهر، ثم أنام نومًا هادئاً.

فأيُّ فزع يَفْتك بي إثر هذا الحادث البسيط:

نهايةَ العمل المسائيّ، أدرتْ القطعةَ الحديديَّة، ثم صفقتُ الباب ليقفل، ولا أدري ما الذي دفعني إلى اختباره. دفعتُ الباب، فإذا به يُفتح!

أدرتُ القطعةَ الحديديَّةَ ثانيةً، وصفقتُ الباب.. ولم يُقفلْ.

كررتُ الفعل ذاته حتى مللتُ.

لا فائدة!

عليّ الاقتناع بالواقعة. وعليّ اكتشافُ الوهم الذي عشته ليالي وأياماً طوالاً.

حرصي وخروجي وراحتي ثم نومي.. كلُّها كانت كذبة.. لأنّ «القفل» كذبة.

فلأعشْها الليلةَ إذن. فما الفرق بين الآن والماضي؟

صفقتُ الباب ورائي ومضيتُ.

لم تعد لديّ رغبة في السهر.

وعيناي لم يطأهما نوم.

ولا أحسن بالأمان الليلة!

قصص من الكويت

حمد الحمد

عثمان.. وتقاسيم الزمان

مانشيت عريض بلونٍ أحمر ظَهَرَ على الصفحة الأولى بصحيفة **الشروق**، لا بدّ أن يكون قد شدَّ انتباه القرّاء في هذا الصباح الربيعيّ الجميل.

التَقَطَ الصحيفة، وراح يعيد قراءة الخبر المرّة تلو الأخرى. وضع نظارته جانباً، استرخى قليلاً. ردّد: «خبر غريب.. قد لا يصدّق». أشعل سيجارته ونفث دخانها.

أغمض عينه اليسرى، حاول أن يعيد قراءة الخبر هذه المرّة بصوتٍ مرتفع: «تهبط في صباح الغد مركبةٌ فضائيّة قادمة من كوكب أپولون المكتشف حديثاً. وهذه المركبة تتّسع لألف راكب.. لا توجد فيها درجة أولى ولا درجة ثانية... تَقْبل إدارةُ المركبة الراغبين في الهجرة لأسباب إنسانيّة، أو سياسيّة، ومَنْ يهاجر لا يعود إلى الأرض مرّة أخرى». وفي جانب من الصفحة هناك صورة توضيحيّة لموقع هبوط المركبة بين خطّ محيط غرب وخليج شرق.

تنفّس عثمان الصعداء، ورشف فنجان القهوة، وطوى الصحيفة ووضعها جانباً. اتّكأ على الأريكة.. «فكرة جميلة: من يذهب لا يعود».

2 في صباح اليوم التالي، استيقظ عثمان مبكّراً، وحلق ذقنه على غير عادته. فرك أسنانه بقوّة حتى كاد يدمي لثته. غسل وجهه ثم غطّاه بالمنشفة. عاد ليرتدي بذلته الزرقاء التي اشتراها في العيد الكبير. أخذ ربطة عنقه الحمراء المنقطة والمتناسقة مع قميصه الأبيض. انتعل حذاءه الأسود؛ بدا له أنّه ضيّق جداً.

حمل بيده حقيبته الجلديّة التي وضع فيها مغلفاً أبيض يحتوي صورة والده ووالدته... الصورة مضى عليها أكثر من أربعين عاماً، وقد تكون في يوم مولده. هنا تذكّر قولَ والدته: «ولدتكَ يا عثمان في يوم جمعة.. ستُفتح أمامَك أبوابُ السعد».. فابتسم.

3 خرج من المنزل واستنشق الهواء وشعر أنّه في يوم عيد. أتاه هاجس من بعيد: «ما الذي يدفعك يا عثمان الى أن تغادر الوطن؟». فقال يخاطب هاجسه المتعب: «الوطن هو الناس.. والناس تنهش الناس.. كالأسماك يأكل بعضها بعضاً»..

يأتيه هاجسُه مرّةً أخرى: «يا عثمان.. نعرفك جيداً.. أنت كاتب ومفكّر.. والوطن بحاجة إليك». ضحك عثمان: «آه.. الوطن»، ثم ضحك مرة أخرى. «كاتب ومفكّر..!! بالأمس شاهدتُ صورةَ راقصةٍ لم يمضِ على هزها لخصرها سوى أشهر قليلة.. أجرت معها صحيفة **الشروق** مقابلةً في نصف صفحة.. أنا لم تُجْرَ معي مقابلة ولو لمرّة واحدة».

4 «الوطن يا عثمان هو الناس.. والناس لا تعرف أنّك كاتب لأنّك يا أخي لا تضع صورتك بالألوان في صحيفة **الشروق**..». ضحك عثمان: «أنا أضع صورتي مع صورة راقصة؟.. لا.. لا لن أفعلها.. أنا أقدِّم أفكاري ولا أقدِّم شيئاً آخر.. هل أُكمل؟ سأكمل!!..».

«وقح يا عثمان. الرجاء ألاّ تكمل».. ضحك مع هاجسه المتعب.

5 يصل عثمان إلى دائرة هبوط المركبة الفضائيّة القادمة عبر الزمن من كوكب أپولون. قيل إنّها تَعْبر بسرعة خمسين مليون سنة ضوئيّة، وعلى جوانبها أنوار تستطيع أن تضيء مدينة بأكملها.

نظر عثمان إلى دائرة التجمُّع. هناك بشر كثيرون. يضحك عثمان. «قد يكون أولئك البشر هم جميع أبناء الوطن..!». حاول أن يقتحم الصفوف. الغبار يتطاير. يرفع منكبيه ويستنشق بعضاً من الهواء. يسمع قولَ أحدهم: «فرصة ثمينة.. نذهب ولا نعود».

6 السماء زرقاء، والأرض فضاء خارج بؤرة التجمُّع، ولا وجود لمركبة فضائيّة. هناك رجالُ أمنٍ، وضوضاء... ورجلٌ أصلع يبيع المشروبات الغازية، ويقف بجانب عربة بيضاء، ويخاطب المتجمهرين بصوتٍ مرتفعٍ:

ـ اشربوا.. اشربوا قبل أن تغادروا.. اشربوا فقد تكون هذه آخر فرصة لكم.

يخاطبه رجلٌ آخر:

ـ وهل ستغادر معنا؟

يلتفت نحوه:

ـ نعم، سأغادر.. وسأبيعكم في كوكب أپولون مشروباً من نوع آخر. هناك لن يلاحقني رجالُ البلدية، لأنّ رجال البلدية هنا لا يلاحقون إلا الفقراء..

يقترب منه عثمان.. ويشتري منه مشروباً غازياً بطعم البرتقال. رجل آخر يشتري مشروباً غازياً بطعم الفراولة.

7 وهناك نساء أيضاً.. وتلك المرأة تبدو في كامل أناقتها.. هل ستركب المركبة أيضاً؟ يبتعد عنها عثمان خشيةَ أن يقال إنّها زوجته؛ فهو يكره النساء كرهَه لرقابة وزارة الإعلام والتثقيف.

8 سار عثمان نحو تجمُّع كبير، وابتعد عن مصوِّري الصحافة والتلفزيون. كانوا يلتقطون صوراً عديدة للمتجمهرين، أكثرهم كان يضع يده على وجهه.

9 اقترب من مركز دائرة التجمُّع. كان هناك أحد الصحفيِّين يوجِّه أسئلة إلى مجموعة من الرجال. اعتلى المصوِّر المرافقُ للصحفيّ برميلاً متوسّط الحجم صُبغ بلون أصفر وأسود. قال بصوت مرتفع:

ـ يا إخواني، معكم صحيفة **الشروق**. سنجري تحقيقاً صحفياً بمناسبة قدوم مركبة من كوكب أبولون بعد قليل. نود معرفة سبب مغادرتكم للوطن.

تأتي إجابةُ أحدهم بصوت أجش:

ـ وهل نحن مجبرون على البقاء؟ لقد ولدتنا أمهاتُنا أحراراً.

رد آخر بعصبيَّة:

ـ اسكتْ أيُّها الغبيّ.. فقد يكون هذا من رجال السُّلطة !

10 يبدو أنّ المتجمهرين اقتنعوا بفكرة المصوِّر الذي طَلَبَ منهم أن يصطفّوا في طابور يذكّرهم بطابور الخبز في مدنهم.

قال رجل طويل القامة مخاطباً الصحفيَّ:

ـ لقد هاجر أخي محمد إلى أميركا بعد أن أنهى دراسته هنا. ومضى عليه الآن سبعُ سنوات. وبالأمس أرسل إلينا صورة له ولأفراد عائلته.. وهو الآن يملك منزلاً وسيارة، وأصبح رجلاً محترماً يعرف حقوقه ويعي واجباته.

قال عثمان مخاطباً الرجل:

ـ وأنت؟

التفت نحوه الرجل.. وقال بحسرة ـ بينما الصحفيُّ يضع آلة التسجيل قرب فمه:

ـ أنا.. أنا؟ (وضرب بيده على صدره) أنا أبدو كَثَور الساقية.. أدور.. أدور ولا أعرف حاضري من مستقبلي.

ضحك أحدهم:

ـ على الأقل ثور محترم.

ضحك الملتفون حول الرجل.. الذي اعتراه الخجل.

11 مواطن آخر تقدّم إلى الأمام وراح يتحدَّث إلى الصحفيّ، بلغة أقرب إلى الفصحى منها إلى العاميَّة. فقال:

ـ أنا شاعر أَنْشد الارتقاءَ بالمجتمع. أعشق الصدق.. أجسِّد أفكاري وأحلامي على الورق.

فقاطعه أحد الحضور:

ـ نريد قصيدة يا شاعرنا.

اعتلى الشاعرُ البرميلَ الأصفرَ، وأخرج ورقة بيضاء، وراح يقرأ بصوتٍ جهوريّ:

«النمل يأكل النمل

القطة تأكل صغارها

وأنا وأنتِ يا حبيبتي

يأكلنا النمل».

ضحك الجمهور، إلاَّ عثمان.. فقد فهم ما يعنيه الشاعر.

قال رجل بعصبيَّة:

ـ مَنْ يفهمكَ يا شاعرنا؟ نحن في عصر البترول والمال والذرّة والأقمار الصناعيَّة..!

استاء الشاعر.. عندما رأى الجمهور ينفضّ من حوله، وقال وهو يضرب بكفِّه على صدره:

ـ يا للحسرة «في عصر زيت الكاز.. يطلب شاعرٌ ثوباً، وتَرْفل بالحرير قحاب»[1].

12 اقترب الصحفيّ من رجلٍ بدا بائساً.. وكان يردِّد:

ـ متى تصل المركبة؟؟

قال الصحفيّ:

ـ بعد قليل.. وهل تريد الهجرة؟

ـ نعم.. فقد أحصل على عمل. يقال إنّ الوظائف متوافرة.. أفضل من هنا.

ـ عملٌ في كوكب أبولون؟ (يضحك...)

ـ يقال إنّ الرواتب خياليَّة..

ـ ولماذا الهجرة؟ أمن أجل وظيفة؟

ـ نعم.. فقد أُوصدتْ أمامي أبوابُ الرزق هنا.

قال الصحفيّ، وهو يقلِّب شريط التسجيل:

ـ تبدو رجلاً فاضلاً.

ـ نعم.. هذا سبب مأساتي.

ـ لم أفهم؟

ـ كنتُ أعمل في إحدى المؤسَّسات الماليَّة بوظيفة محاسب. واكتشفتُ ذات يوم حالةَ اختلاس بمبلغ نصف مليون دولار، ولم أتوانَ في إبلاغ الإدارة..

ـ وبعد ذلك ماذا حدث؟

ـ ذات صباح، وأنا أهمُّ بشرب الشاي في الكافتيريا، اقتربتْ مني سوزان موظفةُ الكافتيريا.. وبحركة فجائيَّة

---

١ ـ بيت شعر لنزار قباني.

وضعتْ يدها على جزء حساس من جسدي، فقمتُ بحركة لاإداريّة بوضع يدي على صدرها ودفعتُها إلى الخلف..

ـ وانتهى الأمر؟

ـ لا.. قامت سوزان بالصراخ أمام روّاد الكافتيريا، ورفعتِ القضية الى الإدارة القانونيّة، وتم اتّخاذ قرار بإنهاء خدماتي.. فوراً.. ونجح «الملعوب»، وبقي المختلس في وظيفته!

ـ ولكنْ أين حقُّك؟ هذا ظلم..

ـ ألم تفهم؟ نجح «الملعوب». ولكنْ هل تعتقد أنّني سأحصل على وظيفة في كوكب أبولون؟

ـ ولم لا..؟!

13 يُقْبل رجلٌ له لحية طويلة وبثوب أبيض قصير، وكان يردِّد بصوت مرتفع:

ـ لماذا تتكالبون على مغادرة الوطن؟.. لماذا تغادرون هذه الأرض الطاهرة؟.. فأنتم خيرُ أمّةٍ أُخرجتْ للناس.. تأمرون بالمعروف..

يأتي صوتٌ من بين الجموع:

ـ بل نحن الآن «أتعسُ» أمّة.. بعد أن ألغينا استعمال العقل.. واكتفينا بالتفكير من خلال عقول أسلافنا.

قال عثمان:

ـ أسكتْ يا هذا.. هؤلاء سطوتُهم أشدُّ: فرقابة الحكومة تأخذك إلى السجن.. وأمّا هؤلاء فرقابتهم تأخذك إلى القبر!

14 بينما هو يشعل سيجارته ويجلس على قالب أسمنتيّ، اقترب منه صحفيّ.. قال:

ـ هل بالإمكان إجراءُ لقاء صحفيّ؟

ـ تفضّلْ.

ـ أراك متلهفاً للصعود إلى كوكب أبولون؟!..

ـ طبعاً كغيري.. أُنظرْ إلى هذا الجموع.

ـ وما الذي يدفعك إلى ذلك؟

قال عثمان، وهو ينفث دخان سيجارته من فمه:

ـ أنا كاتب.. لي رواية طُبعتْ خارج الوطن.. ومُنعتْ من التداول هنا.. مسكينة لم تشمّ رائحة الوطن.

أردف عثمان:

ـ هل أسترسل؟

أجاب الصحفيّ، وهو يقرب آلة التسجيل:

ـ تفضّلْ.. فاليوم متعِب جداً.. والمركبة العجيبة تأخرتْ.

أكمل عثمان حديثه وهو في حالة استرخاء:

ـ عندما كنتُ طفلاً كنتُ سعيداً جداً، لأنّني لم أفكّر بقضايا الوطن.. أما الآن فأنّني متعب جدًا.. أفكّر بالوطن وبالناس وبالمستقبل، وأَمْرَض كلَّ يوم لأنَّ أحلامي تتلاشى كانقشاع سحب هذا اليوم الربيعيّ..

كان يودّ أن يكمل حديثه، ولكنّ الصحفيّ انسحب دون أن يستأذن. شعر عثمان بإحباط داخليّ شديد.. وقال مخاطباً الصحفيّ الذي توارى عن الأنظار:

ـ نحن الكتّاب «نعطيكم الفرح الجميل.. وحظُّنا حظ البغايا ما لهنّ ثواب»[1].

وراح يكمل تدخين سيجارته.

15 صوت من بعيد:

ـ أنظرْ.. ها هي مركبة أبولون قادمة.

رجل آخر:

ـ أيُّها الغبيّ.. هذه طائرة مروحيّة تقوم بتصويرنا.

قال رجل له شوارب طويلة:

ـ يقال إنَّ نساء أبولون أشبه بالحوريّات، لا يملّ الرجال من معاشرتهنّ!

ابتعد الرجل بعد أن رأى امرأة ضخمة الأرداف تقترب منه.

16 الكل كان بانتظار وصول المركبة. انتصف النهار. صعد رجل على برميل أزرق.. راح يرقب الرؤوس المتحرّكة كأمواج البحر.

صاح آخر كان يستمع إلى راديو صغير:

ـ إذاعة لندن تقول إنَّ مركبة أبولون دخلتْ حدودنا الغربية وهي الآن تتّجه نحونا..

سرت قشعريرة في جسد عثمان. راح يتلمّس حقيبته الصغيرة، ووقف.. يرقب السماء..

اقترب منه شاب يرتدي ملابس رياضيّة ملوّنة.. وعلى شفتَيْه ابتسامة لا معنى لها. سلّمه ورقةً صغيرة بحجم راحة اليد.. واختفى وسط الزحام.

---

١ ـ بيت شعر لنزار قباني.

فتح عثمان الورقة، وراح يتمعّن في حروفها. ألقى سيجارته جانباً. أعاد قراءة الورقة مرة أخرى. حروفُها كُتبتْ بخط صغير: «نأسف على هذا الإزعاج.. اليوم هو الأول من ابريل..». التوقيع: صحيفة **الشروق**.

شعر عثمان بانكسار داخليّ شديد: خليطٍ من الألم والمهانة. التفت حوله، وراح يرقب أولئك الذين ينظرون إلى السماء بانتظار الخروج من دائرة الوطن □.

قصص من الكويت

سليمان الشطي

جمل

لا...! لن تكون مثلهم..
ولا أنا..!
وحقّ أرضنا....!!
إيّاك يا صديقي يا جمل..!
إيّاك أن تيأس أو تلين
إيّاك أن تكون مثل آخرين

أدمغةً قد نزعتْ مخاخها
محشوةٍ بالرمم الملفقه
تفوح من أنفاسها رائحه
تعرفها المزابلُ المحترقه..!
إيّاك يا صديقي يا جمل..!

أحمد العدواني

1 قال أحد المتفائلين:

ـ ليس لك إلاّ لبنُ الناقة. وسيُشْفى والدُك إنْ شاء اللّه خلال شهور.

الأمل باحث أبديّ، لا يكلّ؛ سهمٌ موجَّه إلى نقطة اليأس التي أصبحتْ مسافتُها متّسعة.

صوتُ نَفَسه المرتفع يزداد حدةً. استحضرتُ تراقصَ عينيه بيننا. نبرات الطبيب الأجنبيّ هادئة. رطن أمامه بجديّة:

ـ لا فائدة، المرض متمكّن من والدك. الأفضل أن تعود به إلى وطنه ليكون بين أهله.

2 جلسنا متقابليْن في الحديقة الممتدة. لم أعد أُحسّ بالخجل من نظرات العابرين وهم يدقّقون في تربُّعه الخاصّ. وقال: إذا كان لا بدّ من حليب الناقة فليكن معها جمل.

أَحسّ أنّ علامة الاستفهام عندي تتحرّك. وانطلقتْ عنده هو أيضاً رغبةٌ في الحديث. كان من قبل يَطْرب لصوته عندما يغني ويتلو محفوظاته من الشعر النبطيّ. ولكنّه في هذه المرّة انفتقتْ ذاكرتُه، فراحت شذراتُ الماضي تَنْفض عنها الترابَ.

بينما كانت المدينة تستعدّ للانتخابات كان هناك جملٌ يحرّك رقبته بتعجُّبٍ مخزونٍ آلافَ السنين، لعلّه يستعيد أحداثَ الشهر الأخير عندما بدأت الحالةُ الغريبةُ، حيث كان يُدفع به في الشاحنات مُوثقاً بحبالٍ خشنة، ثم يُقذفُ به أمام خيمة ويُربط حولها. تمرّ عليه ليلة أو اثنتان أو أكثر، يلاحِظ أنّ بعضهم يُعنى عنايةً خاصة بإبرازه ليكون على مرأى من العيون العابرة. وهكذا قضى أيّامه الأخيرة وهو يُطاف به من مكان إلى آخر. وقبل أيام دار بالقرب منه حوارٌ بين مالكه ووجهٍ آخر غريب:

ـ في كل الصحارى لن تجد مثل هذه القامة.

ـ حقاً، هامتُه تثير الهيبة.

ـ أنت تكتري جملاً أصيلاً، فيه هدوء مفيد. سيبقى سنامه مشرفاً من فوق. ستراه كلُّ العيون العابرة. إنّ خيمة دون جملٍ قطعةُ قماشَ، وحديثٌ دون دسومة، وفتاةٌ محجَّبة تضع خاتماً من الألماس فوق القفّاز.. هه.. هه.

كان المتحدِّث مندفعاً في وصفه. أما مستمعه فقد استبدّ به هاجسٌ داخليّ يتشكّل بفعل كلمات كان قد قرأها في تعليق تحليليّ حول الظاهرة الجَمَليَّة والانتخابات. ولقد تناول البحث، بلغةٍ غيرِ مفهومة، العلاقة بين الانتخابات والجمل وأنّها:

«ذات بعدٍ نفسيّ واضح؛ فالعمق القبليّ في الذات يستدعي عمليةً متواصلةً السيولة تَسْتَخرج الكوامنَ المستقرّة، وتَخْلَق وهماً يحطّم حاجز التردُّد. ومن ثم فإنّ الدخول إلى العقل لا يتمّ إلاّ من منطلق تنبيهيّ، ولكنْ لاشعوريّ. وذلك لأنّ تحريك العقل المفكّر، إنْ حدث، يفتح أبواباً قد لا يتقبّلها مَنْ يريد التأثير لا الإقناع. ولا شكّ أنّ مصالح كثيرة تعتمد اعتماداً كلياً على استثارة النفس وإخضاع العقل الواعي للاوعي، ومن ثمّ تكون